فوائد لغوية

Notes Lexicographiques.

نقد تاريخ الادب العربي

— ٤ —

[الطلاق في الجاهلية]

وقال في ص ٩ عن العرب « وللرجل وحده حق الطلاق ما لم يشترط عند العقد خلاف ذلك » قلنا : هذا هو الظاهر لكن السيد نعمة الله الجزائري قال في ص ٨٧ من زهر الربيع : « وروي ان الطلاق في الجاهلية كان الى النساء وكان طلاقهن للرجال ان يغيرن ابواب البيوت من المشرق الى المغرب » ثم اورد حكاية لكيفية اجراء الطلاق ، وجاء في مادة (ج د د) من المصباح المنير « والاسم منه الجد بالكسر ايضاً . ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : ثلاث جدهن جد وهزلهن جد ، لان الرجل كان في الجاهلية يطلق أو يعتق أو ينكح ثم يقول : كنت لاعباً ويرجع . فأنزل الله تعالى قوله : ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، وقال النبي ـ ص ـ ثلاث جدهن جد ، إبطالا لامر الجاهلية وتقريراً للاحكام الشرعية » وقال الطريحي النجفي في مادة (ه ز أ) لتفسير الآية المذكورة : « قيل كان الرجل في الجاهلية يطلق أو يعتق أو ينكح ثم يقول : كنت لاعباً . فانزل الله تعالى : لا تتخذوا آيات الله هزواً » وكلامه مقتبس من المصباح على ماظهر لنا .

وقال ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي « قيل كان طلاق الجاهلية ان يسل الرجل ثوبه [وفي نسخة : ثيابه] عن امرأته » (١) تفسيراً لقول امرئ القيس « وسلي ثيابي من ثيابك تنسل » وفي ص ٣١٧ ، ٣١٨ من كشف الطرة

١) ص ٩١ من جمهرة اشعار العرب ، ومن اعجب الامور واغربها ان ابا زيد القرشي هذا على جلالته وعظيم تأليفه لم يعرف معاصر لنا تاريخه ولا ترجمه مؤرخ معروف عندنا

عن الفرة عن ابي عبيدة ان عمرو بن عدس بن زيد التميمي كانت تحته دختنوس بنت لقيط بن زرارة – وكان ذا مال كثير إلّا انه كبير السن فقلته فلم تزل تسأله الطلاق حتى فعل» فهذا الخبر يؤيد ان الطلاق كان الى الرجل في الجاهلية والامر بقي معمى علينا وليس عندنا « بلوغ الارب في احوال العرب » فنبلغ اربنا منه على ما يدل عليه اسمه .

انصر اخاك ظالماً او مظلوما

وقال فيها « أما علاقة ابناء الاسرة بابناء القبيلة فجماعها مدلول هذه الحكمة الجاهلية (انصر اخاك ظالماً او مظلوماً) على ما بين ابناء العم من تنافس وتباغض » قلنا : ذكر هذا الرأي ابو هلال الحسن بن عبد الله العسكري في (ص١٥) من جمهرة الامثال . ثم قال « وقد روي هذا الكلام عن النبي – ص – فان كان صحيحاً اسناده فمعناه : انصر اخاك مظلوماً وكفه عن ظلمه ان كان ظالماً فقد نصرته اذا خلصته من الاثم لان النبي – ص – لا يأمر بنصرة الظالم ... » ورأينا هذا القول وهذا الرأي في تاريخ المرحوم الشيخ محمد الخضري كما في « ١ : ٣١ » من الطبعة الثانية وتاريخه ليس بثبت ولا معتمد لانه – عفا الله عنه – اهمل المصادر التي يجب ذكرها على المؤرخين فاسقط كتابه وطرق عليه الطاعنين (٢) وفاز جورجي زيدان بالمرجعية والشهرة . وقد خلط الرواة بين

واذكر ان معجم المطبوعات المنشور حديثاً في مصر ليوسف اليان سركيس لما ذكر كتاب جمهرة اشعار العرب جعل وفاة ابي زيد المذكور سنة (١٧٠) للهجرة وهذا غلط فاحش لانه ذكر ابا نواس في جمهرته – كما في ص ١٧٩ – وتوفي ابو نواس سنة (١٩٥) أو (١٩٦) أو (١٩٨) ببغداد كما في الوفيات واذكر ان جورجي زيدان جعله من علماء اواسط القرن الثالث في تاريخه لادب العربية وقد ذكر ابو زيد في ص ١٨٥ من جمهرته « ابن قتيبة الدينوري» المتوفى سنة (٢٦٧) وذكر في ص ٣٢٩ كتاب الصحاح للجوهري المتوفى في حدود الاربعمائة وبه تسقط دعوى جورجي زيدان وجاء ذكره وذكر جمهرته في « ٢ : ٢٩٧ ، ٢٩٩ » من المزهر ، ولم يحقق مؤرخ ادب ما حققناه في طرد حياته فهل من زائد على ما ذكرنا خدمة للتاريخ ونشراً لفضيلة هذا الفاضل. (٢) لكن كثيراً من المعلمين والتلاميذ المبتدئين ما يزالون يطالعون هذا التاريخ لانه في منالهم ولجهلهم آداب قراءة التاريخ .

حديث القدماء والحديث النبوي فعسر التمييز . ثم ان تفسير ابي الهلال لو كان مرجحاً لكان المألوف يقضي ان يقال « ظالماً ومظلوماً » بالواو ولا محل للاباحة فيكون على غرار قوله تعالى « الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم » فنحن نرى ان المراد بـ « ظالماً » ظالم لنفسه وقد قال تعالى « وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون » فهم الظالمون لانفسهم والمراد بالمظلوم معروف فالالازم نصره ان لم يكن مظلوماً فهو ظالم لنفسه محتاج الى النصر من هذه الجهة . فهذا القول اسلامياً اكثر منه جاهلياً . والمراد بالنفس ههنا الاجساد لان النفس امارة بالسوء .

العجعجة والكشكشة والفمفمة

وذكر في ص ١٣ بعض لغات العرب فقال « كعجعجة قضاعة ... وكشكشة أسد » وعلق به : « العجعجة : قلب الياء جيماً بعد العين وبعد الياء المشددة فيقولون في الراعي : راعج . وفي كرسي : كرسج » . والكشكشة : جعل الكاف شيناً في خطاب المؤنث » . . ـ قلنا : ليست ياء الراعي مشددة فيصح التمثيل بها . ثم انه ذكر في حاشية (ص ١٦) عن العقد الفريد « ان معاوية قال يوماً لجلسائه : اي الناس افصح؟ فقال رجل من السماط يا امير المؤمنين : قوم قد ارتفعوا عن رتة العراق وتياسروا عن كشكشة بكر وتياعنوا عن فشفشة تغلب ، ليس منهم غمغمة قضاعة ... » فحصل بين نقلي الاستاذ الزيات تعارض لان العجعجة كانت لقضاعة فصارت لهم الغمغمة ، وكانت الكشكشة لاسد فنسبت هنا الى بكر ، وهذه النادرة ربما نقلها ابن عبد ربه عن كامل المبرد (راجع ٨ : ٥٠ من لغة العرب) وتكلمنا على الطمطمانية والغمغمة والكسكسة والكشكشة (راجع ٧ : ٥٧٧) وقد اختلف في تخصيص هذه اللغات باصحابها ففي « ١ : ١٣٣ » من المزهر ما نصه : « ومن ذلك العجعجة في لغة قضاعة يجعلون الياء المشددة جيماً يقولون في تميمي : تميمج » وفي ص ١٣٤ منه « وابدال الياء جيماً في الاضافة نحو غلامج . وفي النسب نحو بصرج وكوفج » مما يدل على النقل العموي والقمشي فيجب موافقة قول الزيات المذكور في العجعجة لهذين القولين المنقولين عن المزهر أو حصوله على نص في العجعجة بانها قلب كل ياء متطرفة جيماً ليصح

قوله السابق المنتقد .

اتصال العرب بالتجارة والدين

وقال في ص ١٣ « فان العرب كانوا اميين لا تربطهم تجارة ولا امارة ولا دين » مع انه كان قد قال في ص ٨ « وهذه الوثنية كانت دين الكثرة من العرب » فلا تتأتى الكثرة الدينية إلّا من شدة اتصالهم بعضهم ببعض. ثم قال عن الشعب العدناني والقحطاني في ص ١٤ « فكان اذن بين الشعبين اتصال سياسي وتجاري يقرب بين اللغتين كالالفاظ ويجانس بين اللهجتين في المنطق » فاثبت الاتصال الاماري والتجاري إذن لم يبق على شيء مما اعتمده اولا . والرأي الاخير هو الصواب لانه حالهم في اغلب عصورهم . وقصدهم الى البيت الحرام في الجاهلية دليل ناطق على اتحادهم في الدين وقد اشار الله تعالى الى صلاتهم فقال: «وما كان صلاتهم عند البيت إلّا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» وقال هو في ص ١٥ « إلّا عكاظ فانهم كانوا يتوافون اليها من كل فج لانها متوجههم الى الحج ولانها تقام في الاشهر الحرم » واما التجارة فلا تحتاج الى برهان .

المعاهدات واللهو في اسواق العرب

وقال في ص ١٤ عن الاسواق « وكان العرب يقيمونها في اشهر السنة للبياعات والتسوق» قلنا : وللمعاهدات واللهو والسرف والترف ألا ترى الحارث ابن حلزة يقول :

واذكروا حلف ذي المجاز وما قـ ـدم فيه العهود والكفلاء

واعلموا اننا واياكم فيـ ـما اشترطنا يوم اختلقنا سواء

وقال الواقدي في اخبار نفير قريش» وقال ابو جهل : والله لا نرجع حتى نرد بدراً — وكانت بدر موسماً من مواسم العرب في الجاهلية يجتمعون بها وفيها سوق — تسمع بنا العرب وبمسيرنا فنقيم على بدر ثلاثاً ننحر الجزر ونطعم الطعام ونشرب الخمر وتعزف علينا القيان فلن تزال العرب تهابنا ابداً » وقال الواقدي « فلما افلت ابو سفيان بالعير ورأى ان قد احرزها وأمن عليها ارسل الى قريش قيس بن امرئ القيس وكان مع اصحاب العير خرج معهم من مكة

فارسله ابو سفيان يأمرهم بالرجوع ويقول : قد نجت عيركم واموالكم فلا تحرزوا أنفسكم اهل يثرب فلا حاجة لكم في ما وراء ذلك. انما خرجتم لتمنعوا عيركم واموالكم وقد نجاها الله . فان ابوا عليك فلا يأبون خصلة واحدة : يردون القيان . فعالج قيس ابن امرئ القيس قريشاً فأبت الرجوع . قالوا : أما القيان فسنردهن — فردوهن من الجحفة — » . قال ابن ابي الحديد : «لا اعلم مراد أبي سفيان برد القيان وهو الذي اخرجهن مع الجيش يوم احد ؛ يحرضن قريشاً على ادراك الثار ، ويغنين ويضربن الدفوف ، فكيف نهى عن ذلك في بدر وفعله في احد ؟ (١) » اقول : لايخفى السبب على ذي بصيرة مثل ابن أبي الحديد، فان القيان اذا رجعن الى مكة لم يبق لاغلبهم رغبة في المكوث ببدر ،لانهم لهاؤون قصافون، فتكون نهاية امرهم العودة . وقال الواقدي في المطعمين في بدر من المشركين: « المتفق عليه ولا خلاف بينهم فيه تسعة فمن بني عبد مناف (الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف) و (عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس) ومن بني اسد بن عبد العزى (زمعة بن الاسود بن المطلب بن اسد) و (نوفل بن خويلد المعروف بابن العدوية) ومن بني جمح (امية بن خلف) ومن بني سهم (نبيه ومنبه ابنا الحجاج) فهؤلاء تسعة » وروى محمد بن اسحق ان العباس بن عبد المطلب كان من المطعمين في بدر وكذلك طعيمة بن عدي بن نوفل كان يعتقب (٢) هو وحكيم والحارث بن عامر بن نوفل وكان ابو البختري يعتقب (٢) هو وحكيم بن حزام في الاطعام وكان النضر بن الحارث بن كلدة ابن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار من المطعمين (٣) » فهذه الانباء كافية للدلالة على ما قدمنا من دعوى ان العرب كان تعاهد وتكافل وتناهو وتقصف في مواسمها واسواقها .

لغة قريش وباقي اللغات

وقال في ص ١٤ عن العدنانيين « ففرضوا لغتهم وادبهم على حمير الذليلة

(١) شرح ابن ابي الحديد « ٣ مج : ٣٢٦ » . (٢) اي يتعاقب ويتوالى في الاطعام وهو من « افتعلا بمعنى تفاعلا » راجع « ٩ : ٢٥٥ » من لغة العرب (٣) شرح ابن ابي الحديد « ٣ : ٣٥٦ » .

المغلوبة ثم جاء الاسلام فساعد العوامل المتقدمة [وقد قدم العوامل] على محو اللهجات الجنوبية وذهاب القومية اليمانية فاندثرت لغة حمير وآدابهم واخبارهم حتى اليوم » ثم قال في ص ٨١ « لم يكن امتزاج اللغات ولا اتحاد اللهجات تاماً من كل وجه عند انبثاق نور الاسلام. وانما بقي على نواحي الالسنة لحون مختلفة كالفتح والامالة . . » قلنا : وكذلك لغة حمير فانها لبعدها عن لغة العدنانيين كانت اطول احتضاراً وابطأ انقراضاً فلا يقال انها وآدابها اندثرت ، وكيف تنسى طمطمانية حمير ووتم اليمن (١) وشنشنتهم وخلخانية الشحر وعمان وغيرها ، وكتب اللغة كثيراً ما احتوت على الفاظ يمانية ، وانما ذكرنا غير لغة حمير لتأييد بقاء اللغة الضعيفة لسبب من الاسباب الحيوية ؛ ومن راجع كتاب الاكليل للهمداني — وقد اطلعنا على قسم منه — علم كثرة الالفاظ اليمنية في العصور الاسلامية لان اصطلاحات البناء والري والصنائع والفنون لا يمكن الاستغناء عنها بتة .

« السدى » بالفتح لضد اللحمة

وقال في ص١٨ « الخطابة كالشعر لحمتها الخيال وسداها البلاغة » بضم السين من « سدى » والصواب فتحه ، قال في مختار الصحاح « السدى بفتح السين ضد اللحمة ... والسدى بالضم : المهمل » وفي المصباح « السدى وزان الحصى من الثوب خلاف اللحمة وهو ما يمد طولا في النسج » وهذه رأيناها في الطبعة الثانية كما في ص ٩ منها فلم تصحح في هذه الطبعة يا اسفا كما اصلح غيرها من مضبوطات القلم .

مصطفى جواد

١) هو جعل الكاف شيناً مطلقا مثل « لبيش اللهم لبيش اي لبيك » (التاج) والشنشنة مثل الوتم (المزهر ١ : ١٣٤) .